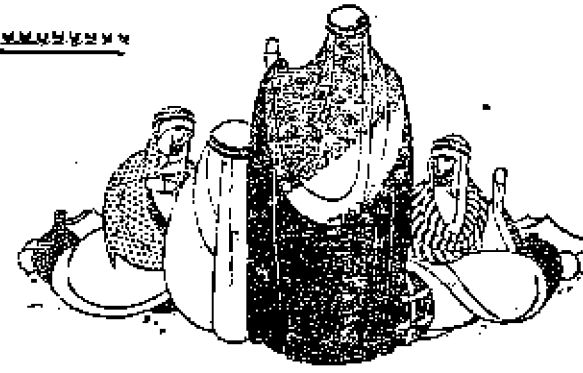

الاتحاد القومي

داؤه وأدواؤه (١)

— ٣ —

يلبغي في هذه الناحية أن أعرض لشبهة اجتماعية خداعة قد تحوم في أذهان بعض الناس فتشتبه مخالبها في أذهان آخرين . تلك الشبهة هي الخلط بين حق الجماعة في كيانها المعنوي ، وحق كل فرد من أفرادها في حياته الخصوصية . ان حق الجماعة المعنوي لا يجوز مريانه الى كل فرد من أفرادها. فاذا قلنا إن لهذه الطائفة الكبيرة حق التفوق على أحيائها تلك الطائفة الصغيرة في مظاهر وأمور رسمية وشبه رسمية ، فلا يستنتج من ذلك أن أي فرد كان من الاولى، يجب أن يتفوّق على أي فرد كان من الثانية . وبعبارة أبسط وأوضح، نقول إن الطائفة الاسلامية الكبيرة حق التفوق والامتياز. ولكن ليس معنى ذلك أن كل فرد من أفرادها يجب أن يدعي لنفسه أو يدعي له غيره حق التقدم على كل فرد آخر من كل طائفة أخرى . وصواب هذه النظرية قريب من البديهيات ، إذا تأملنا منه قليلاً . فمن منا نحن اللاذقيين مثلاً ترضى نفسه ويقتنع وجدانه بوجوب تقديم أي دمشقي كان أو أي حلبي أو أي بيروتي على أي لاذقي كان بحجة أن دمشق أو حلب أو بيروت هي أعظم وأهم وأعمر من مدينتنا اللاذقية . هيهات هيهات ! فان ابن هذه المدينة لم تتضخم في شخصه مدينته . كما أن ابن تلك الطائفة لم تتضخم في شخصه طائفته .

ومما يعوز أبناء الوطن في أثناء تعاملهم وتعاشرهم ، أن يتحمل بعضهم بعضاً في كثير من الهفوات والزلات غير الصادرة عن روية وسبق إصرار، فان في أدبنا العربي ما يحثنا على النهج القويم حتى قال عنترة العبسي :

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب ولا ينال العلى من طبعه الغضب

وقال شاعر آخر جاهلي عرف بالفضل والحكمة مع جمال الوجه وسمه المقنع الكندي :

وإن الذي بيني وبين بني أبي وبين بني عمي لمختلف جدًّا
إذا أكلوا لحمي وفرتُ لحومهم وإن هم هَوَوْا غَيّي هويت لهم رشدا

---

(١) نشر البحثان السابقان بمتتالف شهري مارس ومايو ١٩٤٥

وإن زجروا طيراً بنحس تمرّ بي زجرت لهم طيراً تمر بهم سعدا
لهم جل مالي إن تتابع لي غنى فإن قلّ مالي لم أكلفهم رفدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم فليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

وقال غيره وأظنه الوزير المهلبي :

تناس ذنوب قومك إن ذكرا الذنوب اذا قستَ من الذنوب

وارتقى الى درجة أعلى في مكارم الأخلاق من قال :

إذا بدرت من صاحب لك زلة فكن أنت محتالاً لزلته عذرا

ومن ذلك النهج الشريف ، التجاهل والتغافل في كل مقام يقتضيهما . وأول من أشار إلى ذلك في ما طالعناه ورويناه مؤسس الدولة الأموية معاوية بن ابي سفيان حيث قال : «حكام تتخادع للناس وهم يظنون انهم يخدعوننا ؟ »

أخذ هذا المعنى بعضهم فقال :

ليس الغبيّ بسيدٍ في قومه لكنّ سيد قومه المتغابي

وقد فصل بحكمه وجلا رونقه الشاعر أبو شراعة بقوله :

وإذا الكريم أتيته بخديعةٍ ورأيته في ما تروم يباوغُ
فاعلم بانك لست تخدع عاقلاً لكنه من فضله يتخادع

ونظر فيه الأمير أبو فراس الحمداني ، وكان في ساعة غضب واشمئزاز مما ناله من إجحاف وسوء معاملة فقال : مبرهناً على انه وهو في معظم طور الشبيبة ممن يتأنون ويصبرون ويكظمون الغيظ :

تغابيتُ عن قومي فظنوا تغابني بفرق أغبانا حصى وترابُ
ولو عرفوني مثل معرفتي بهم إذن علموا أني شهدت وغابوا

وبناءً على ما تقدم معنا ذكره ، يحتاج الوطن الى تأسيس جمعية وطنية في كل مدينة من مدنه ، لكي تتصل بهذه البادية ، فيقتدي بها أهل المدينة وملحقاتها ، وعلى وجه خاص لكي تسعى بالوسائل الفعالة الى مكافحة العوائق الأربعة . التي أشرنا إليها : مكافحة النعرات الطائفية ، ومكافحة عادات التقشف والفقر في عاداتنا المعاشية ، ومكافحة مساعي من لا يروقهم هذا الأخاء العام وهذا الائتلاف التام ، ومكافحة من يظهرون بغير ضرورة ولا مسوّغ واضح ضعف ثقة بالسلطة الوطنية وبروحة الحواس من أبناء الوطن . وينبغي أن يكون بين جمعياتنا الوطنية التي تؤسس لأجل هذه الأغراض تراابط وتفاهم وتعاون وثيق ، تجري بتبادل الرسائل

وزيارات الوفود لأجل توحيد الكلمة وتوحيد المسعى ... يكون لهذه الجمعيات مركز رئيسي في دمشق أو مركزان رئيسيان متحالفان في دمشق وبيروت، حسبما يستقر رأي أبناء بلادنا بهذا الشأن.

وقبل الخروج من البحث الحاضر يطيب لي أن أجزء الموضوع بشيء من الشعر وهو جزء من قصيدة لي وطنية اقتضاها المقام يوم القائها. والخطاب فيها مصوب على وجه خاص الى أعيان الوطنيين وعقلائهم:

عليكم سادتي بني الرجاء ... فلم لا يستقيم لنا البناء
إذا عقلاؤنا خذلوا حماهم ... فديانا وما كنها هباء
وما نجدي الرجال ولا عقول ... وما نجدي العقول ولا ذكاء
أتعجبك الحقول وليس روض ... أتعجبك الرياض وليس ماء
فيا عقلاؤنا عطفاً علينا ... إذا ما خاز عصماء النماء
ومزروع الرشاد لكم ومنكم ... وفيكم يرتجى عز البناء
ألا فتعاهدوه بكل عون ... تحالفه النزاهة والسخاء
ولا تدعو المجال به لياس ... فداء اليأس ليس له دواء
إذا مشروعنا قصد اتحاد ... تعزز بالتضافر فهو جزاء
وما أنتم إذا أبدى قصوراً ... من العسار المتم أبرياء
أرأس من الديار ومشتهاها ... تجافيه بنيكم الآباء
ونطمع أن نعد رجال حزم ... فكيف إذن يكون الأغبياء
معاذ الله، ذلك لن نراه ... وفيكم نحوه يرتجى مضاء

هذه حقائق راهنة تحتنا بصوت عالٍ مهيب ملؤه الصواب والحكمة والاخلاص أن نجتمع كلنا كتلة قومية واحدة على اختلاف أديانا ومذاهبنا، التي مواضع الأذية والخطر والعار. كذلكم أمنيتنا الذهبية التي تتلمسها، وكذلكم مثلنا الأعلى الذي نسعى إليه ولنا أمل وطيد بالحصول عليه ولو بالتدريج، ولكنه تدريج مطرد سريع الخطى بفضل وجود عقلاء محنكين بين أظهرنا وبفضل ما الطوت عليه الشريعة الاسلامية من جرثومة الخير والمرونة وروح التسامح مماشاةً للاحوال الطارئة، ومراعاةً لكل مكان وكل زمان. ومن ثم لقبت بحق الشريعة السمحاء حتى قالوا: «ان المؤمن لا يكون الا هيناً ليناً» وحتى ورد في الأحاديث النبوية الشريفة: «ان الثبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى» والمراد بالمنبت المنقطع عن رفاقه في السفر. والمراد بالظهر ظهر دابته. فحضرتك يشير هذا التشبيه الجميل

من حكم التأمل

سمع الفيلسوف النظري يقول لابنه : يا بني ، ساعد نفسك على سمو التأمل الى الكمال . ولا كمال في المادة . انما الكمال في تصفية النفس الناطقة ، وانعتاقها من الانهماس في شهوات هذا العالم السفلي ، الذي مصيره للفساد . صل قريبك ، يعتك على تطهير نفسك من أرجاس الشهوات . واعلم انك ما عشت لتأكل ، بل نحن لا نأكل إلا لنعيش . فاقتصد في طلب الرزق . وصيك منه بالكفاف ، واسرف في تهذيب نفسك ، ان صح ان في الشر سرفاً . وض نفسك على الخير بحبابها على كل ما تعمل حباباً عسيراً . وساعد مواطأة حب الجمال والكمال في قلبك على تعطيل الشهوات البهيمية . ان لنفسك عليك حقاً في مساعدتها على أن لا تزل كثيراً عن المستوى العالي الذي نزلت منه الى جسدك الفاني ، وفتاس عليك حتى ارشادهم الى الغاية التي خلقوا لها ، وهي الوصول الى الكمال اللائق بهيئة الانسان الذي كرمه الله وشرفه على جميع مخلوقاته . ولا تجزع لطارقة تنزل بك ، بل اني لاعجب لامرىء ينتظر من عالم الفساد غير المحن التي يمتحن الله بها عباده الصابرين . ولا تترك فرصة الموت تأتيك في الدقائق من مظلوم أو القيام بجهاد وطنك الا انتهزتها . وصوت فيها كأس الموت سائغاً . فان الموت خير الصالح يشربها فتنقله من عالم الشرور والمحنة الى نجم مضيء . ذلك هو الكمال الذي تبغيه بني عالم الضعف . وما كمال الا للموت . ولا شك عندنا في أن النتيجة اللازمة ، تابعة في الصحة والفساد لمقدماتها الضرورية . فالنفس التي أحسنت عملا ترجع الى عالمها القدسي ، فريرة العين بما تلقى من النعيم . أما من ساءت استعمال قدرتها ونسيت الرجعى الى عالمها — أعيذك بالعقل الاول — لا تصيب بهذا الانتقال الا عذاباً أليماً .

احمد لطفي السيد باشا

نقلا عن الجزء الثاني من « المنتخبات » هدية المقتطف الحفلة

في قالب الاستعارة التمثيلية ، اشارة بليغة الى سوء المصير الذي ينتظر كل امرىء متقلب يبتعد في سلوكه عن خطة العدل والاعتدال .

هذا جل ما استصوبت الادلاء به أمامكم مدفوعاً بعامل الاخاء الوطني والغيرة القومية ، وقد اخترت صراحة اللهجة مع المحافظة على شرط اللياقة والتأدب مخترقاً الموضوع في صلبه وذواياه غير مكتفٍ بالطواف حواليه كما يفعل الاكثرون . ولعلّ ما أدليت به كافٍ لتذكير الناسي وتنبيه الغافل . والله في عون العبد ، ما دام العبد في عون أخيه .

اللاذقية

الدوار صرقص

عضو المجمع العلمي في سورية